تراجيديا غياب البطل

ناجح المعموري

تنطوي عنونة القصيدة على تحد للموت وابقاء مؤيد حياً، فهو مازال في علاقة يومية مع الحياة والناس عبر رسوماته، وتضمن النص اشارات عديدة متماهية مع خطاب الراحل في استثماره اليومي بتعليقات حاده وساخنة بلدغاتها، وحصل تجانس تام بين مؤيد والشاعر عبر إتفاقات مشتركة في وسائلهما التعبيرية، ويبدو هذا واضحاً في استهلال النص والنداء الموجه من الموتى.

هو استهلال أعاد تمثيل تعليقات مؤيد واستثمرها بذكاء وصعد الشاعر موفق محمد صوته معلناً عن ابتلاء كربلاء، او بقاء التراجيديات مستمرة، ان مؤيد مسيحنا هذه المرة لانه تناظر بعلاقة مع النهر مثل يسوع وكلاهما حمل صليباً، والح الشاعر موفق محمد على الوظائف اليومية ورموزها الثقافية والدينية مثل الصليب/ والنخلة/ والنهر/ فإذا كانت نخلة يسوع شاهدة على الولادة والانبعاث فان نخلة مؤيد شاهدة على ولادة عراق جديد حيث ارتفعت امكانات الشاعر في اللعب بالرموز وتغيير دلالاتها، فتحولت عشبة جلجامش التي خسر بضياعها خلود الالهة الى حلم بالكراسي، لانها معبرة عن خلود الحاضر / المؤقت/ الزائل، والعشبة الحالم بها اصحاب الكراسي عافتها حتى الحيوانات ورفضت قضمها، ولم يكن أمامها الا ان تدوسها باقدامها لان الحيوان في هذه القصيدة مؤنسن بسبب رفضه الرمزي أغواءات الكراسي.

واتسعت مساحة القدسية في النص ممنوحة لبشري جديد ومعاصر، وهو مؤيد نعمة: وانت اختصرت البحار بدمعة تسبح في رأس مقطوع/ مازال خلاصنا في موجتين تشعان في /يمينك/ وفي قلبك العامر بالشجاعة وانت / تقلب جمرة الموت من يد الى اخرى/ وترسم بريشة من رماد العنقاء/ لتبعثنا ثانية في رؤوسنا التي استأجرها/ الخوف طويلاً وبثمن بخس منافع معدودات/ يتحد ويتعمق في آن الفضاء الدلالي للرمز اليسوعي المقدس مع رمز دال على الحسين ومعنى استشهاده/ في رأس مقطوع/ وينمو المعنى كثيراً متوحداً بين ثالوث مكون من يسوع/ الحسين/ مؤيد ويفضي هذا الغياب وخصوصاً غياب الشابة القتيلة/ وبثمن بخس منافع معدودات/ التي إعتادت النزول الى العالم السفلى والانبعاث مرة ثانية واوماً الشاعر بوضوح ماتراكم في الذاكرة الشعبية عبر المرويات والمشاهدة عن الرأس المقطوع وارتباطه بالوجدان الشعبي، لكنه في النص الشعري صار دالاً على الاف الرؤوس التي قطعت.

لم يكن هذا النص مرثية لمؤيد نعمة، لان الشاعر لم يخترله هذه الخاصية، فهو منبعث حتماً، واعلن الشاعر صراحة بانه غير قادر على رثائه اي بحر تجرأ على رثائك وانت إختصرت البحار بدمعة تسبح/ في رأس مقطوع/ فالقصيدة اعلان رمزي عن تجدد حضور مؤيد نعمة فهي تخطيطات جديدة، إستمرت بنسقها اللاذع والهجائي ضد الخراب والدمار، ونجح الشاعر موفق محمد في قراءة رسوم وتعليقات مؤيد واستثمر مكوناتها الفكرية واشتغل عليها شعرياً وفي احيان يبدو النص وكانه تعليق لمؤيد على واحد من رسوماته وفي هذه الملاحظة تراتب اخر اكثر شفافية وافضاء للشعري ابتداء من الاستهلال.

وتصعد نبرة الحزن، لا من خلال إيقاع النص الصاعد، الطاغي بالفجيعة والمأساة بل عبر انخذال القلب العامر بالشجاعة والذي لم يسعفه فتوقف في لحظة كان فيها يقلب جمرة الموت من يد الى اخرى منتظر لحظة استشهاده وتضيء جمرة الموت قيمة فكرية في غياب مؤيد، وكأنه يعيش حالة ترقب لما هو مدركه ومتوقعه مثلما الناس لنهاية تسجل خاتمة لصراع جبار وبطولي بين مؤيد نعمة وقوى الارهاب والتخلف، كما تنطوي هذه العبارة على تعايش رمزي بين مؤيد والموت (الجمرة) وبين واقع سابح بالسكاكين والدم، وهو وحده يلاحقها يومياً عبر رسوماته، معلناً صرخاته المدوية، قبل ان تحط عليه الجمرة وما كان خائفاً منها، تحداها واعلن مقاومته لها بوضوح لانه كان يرسم الحياة بريشة من رماد العنقاء/ العراق.

من مقال طويل عن النص

تخطيطات جديدة لمؤيد نعمة

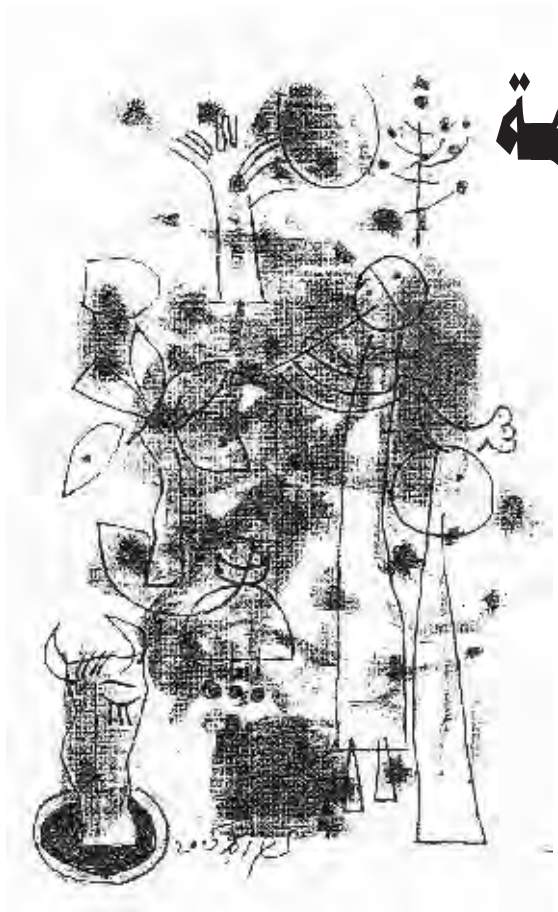

شعر موفق محمد

نداءً من الموتى إلى الشعراء: إرثونا ونحن أحياءً فتلك فرصتنا الأخيرة بعد حرق الفرص والعباد والبلاد في حرب الكراسي المرشح لحصد جوائز الأوسكار مخرجين وممثلين

يا إلهي أغثنا
فالأفق سكاكين ودماء
أفتلك لعنة كربلاء
أو كلما أبتكرت هذي البلاد فتىً
يمحو بحكمته الآثام
تلقفته يد السماء
فيا أيها النهر الطائر المتوهج في ظلمات النفس
نور لنا..
نحن الأضاحي الأقل رتبةً من الخراف
لكل من هب ودب
في بلدٍ ماله من والٍ
يترنح بالقاصمات وبالراجمات
وباللافتات وبالأنوات
تعزي وتسرقُ
وتستنكرُ وتشرقُ
فكلُ أناً إله
الأرض لم تنجب سواه
ينهي ويأمر
يفتحُ الحيتان للغرقى ويدخلُ من يشاء
الغيم يمطرُ من رؤاه
والنخلُ لولاسعيه المحمودُ
لم يعط جناه
والنفطُ يخرجُ من بطون الأرض مشفوعاً
بما صنعت يداه
ولضاع شعبٌ في المتاهْ
(والشايل البيرغ حمد واليلطم ابن كظيمة)
وكظيمةُ ماتت كاظمةً غيظاً تتفطرُ منه
الأرضُ
لم يزرها أحدْ
لا والدٌ ولا ولدْ
ماتوا جميعاً في دهاليز البلدْ
على قبرها المتنقلِ نخلتان
قرينتان
تقطران الصبر والسلوان
وتكشفان
صدراً من الجمار أسود تقشعر له السماء
فيا أيها النهرُ الطائرُ في ظلمات الاه
لم يبق لنا إلا الصراخُ الأخرسُ المولولُ
في قبورهنّ
فهاك ضلوعي
ثقبها من همك
وضعها ناياً على قبورهنّ
ناياً يرى
ناياً يحرثُ الضيم المتعشق فيهنّ
ليصعد الأنينُ صافياً إلى من يهمه الأمرُ
في غفلة من سكين كنت ترسم
وفي غفلةً من قاذفة كنت ترسمُ
وفي غفلةً من خاطفٍ كنت ترسمُ
وفي... وفي..
وإلى آخره من الوفيات
فأي صليب هذا الذي يأكلُ لحمك
وحدك كنتَ المزلزل حاسراً حاملاً
في القلب نخلةً

هي تعويذتك
فهل كان عزرائيلُ عادلاً
إذ سلمك للخالق كما أبدعك
لم يكنس لحمك ودمك في الطرقات
ولم يذهب لمطامير القتلة ليلمك
طبق الأصل
يداً وعيناً وقلباً وصدراً
بعد أن يستل السكاكين من كل مغرزٍ فيها
خوف أن يفزع الملائكة وهي ترتلُ
بعده البسمة إبغداد بس تلبس أسود
❖❖❖
إنّ الدواب لأكثر حكمةً في النظر
إلى الكرسي
فهو يراه عشبة الخلود
بينما هي أعني الدواب تدوسها بأقدامها
من أجل أن تبقى حرةً طليقةً لاتظلم أحداً أبداً
فيا دول الجوار
وأنتم تساهمون في هذا الموت المجاني
الذي لايفسدُ للأحتلال قضيةً
إنّ الرياح قادمة إليكم لامحالة
فأحفظوا فروجكم
❖❖❖
أيها النهرُ الطائرُ المتوهجُ في ظلمات الموتِ
أي بحرٍ يجرؤ على رثائكَ
وأنتَ أختصرت البحارَ بدمعة تسبحُ
في رأسٍ مقطوع
مازال خلاصنا في موجتين تشعانِ
في يمينك
وفي قلبكَ العامرِ بالشجاعة وأنتَ
تقلبُ جمرةَ الموتِ من يدٍ إلى آخرى
وترسم بريشةً من رماد العنقاء
لتبعثنا ثانيةً من رؤوسنا التي
أستأجرها الخوفُ طويلاً وبثمنٍ بخسٍ
منافعَ معدودات
(ياصاحِ لاتنطفي
وأسرج لنا سحركْ
وأشربها من راحتيْ
شعشعها من صبركْ
ياصاحِ كل منيتي
قبري قرب قبركْ)
ونغني
ليلنا دود وأصداءُ تغني حولنا
ل ي لُ نادودُ وأصداءُ تغني حولنا
ونساءُ فتها الضيمُ وتسقي قبرنا
❖❖❖
سادتي
وأنتم ترفلون بشفافية ورديةٍ في
القصور التي بناها الطاغوتُ من قلوبنا

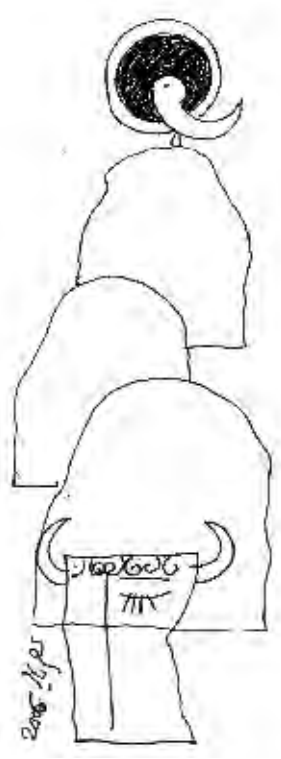

نحنُ سكنة ماتحت الجسور وجبال القمامة
هلموا وشاركونا السكن من موقع أعلى
لنتعرف على عمقِ مأساتكم
فالعراقيون حمالو دباتٍ من الطرازِ
الأول
❖❖❖
أيها البرقُ الخاطفُ في ظلماتِ الموتِ
أنى لك هذا الحمامُ الهادرُ؟
وكيفَ يخرجُ من قبركَ
وهو يلمعُ بآلاف الأجنحةِ
راسماً في السماء
نهراً ينثُ دماً
سأصوغُ ناياً من جناحين
ناياً يذوبُ أسىً في الغيومِ كلها
لتمطرنا بالصورِ التي ترسمها الآنَ
ناياً مزدوجاً من دجلة والفرات
مؤتلقاً بالقارِ المفرقع في صدورنا
المرصوفةِ فوقَ النارِ الازليةِ منذُ بدءِ
الخليقة
نائحاً بملايين الحناجرِ
أيُ قدرٍ هذا
أنضعكَ تحتَ جلودنا ونهربُ
وإلى أينَ؟
والعالمُ أصغرُ من ثقبِ الأبرةِ
ولا يمنحُ اللجوءَ لوطنٍ محصورٍ في دكةِ
والسكاكينُ تنوشُهُ كوقعِ الصياصي في
النسيجِ الممدد
إنّ الآه التي تنبجسُ من روجه توقظُ
الموتى
ففي أيِ قلبٍ خبأتها؟
أمن أجلِ أن نسمعها متّ؟
لنطمئنَ على مستقبلِ أطفالنا
وأيُ مستقبلٍ هذا الذي يطلعُ من سكينٍ
في رقبةٍ
❖❖❖
قالَ لي شيخُ
عاصرَ خمسَ حكومات وطنية،
عادت بالبلدِ إلى ما وراء تل حسونة
إن العراقيين لايشبعون من الظلمِ
فإذا أصيبوا بالتخمة من ظالمٍ
إستبدلوه بظالم أعتى على مرِ العصور
❖❖❖
فهم صناعو طغاةٍ من الطراز الأول
ياصديقي الذي لم أره منذ ثلاثين عاماً
في جنة لم نلقَ منها سوى الجحيم
وسوى القياصرةِ الأشاوسِ يذبحون
على الصراط المستقيم
أنسمي عصوراً مضت بما قبل (مؤيد نعمة)
وعصوراً ستأتي بما بعد (مؤيد نعمة)
أيكفينا أن نكونَ علامةً فارقةً في زمن عاهرٍ
وأنت وضعتَ قلبك على صدرِ العراقِ
درعاً يصدُ السكاكين المسمومةَ
القادمةَ من كل حدبٍ وصوبٍ
ولم تبقِ لنا وذرةً منه
نحن الباقين على قيد الموتِ
سلنا إلى أينَ المفرُ؟
فلم تعدِ الجنةُ تتسعُ لشهدائكَ
ولاجهنمُ لقاتليهم
والحكامُ نيامُ
فإذا ما سرقوا أنتبهوا
وإذا ماسالَ دمٌ من طفل يلثغ كالنجمة
وأحترقتْ آلافُ الأجساد بتنور الرعبِ
المتوهجِ من أشلاءِ بنيكَ
صار الدمُ الممزوجُ بالآهِ التي
أزت على شفة السماء سلماً
للصعودِ على رقابهم
ياقاتلي
إعطني دقيقةً واحدةً
لأقف حداداً على روحي
❖❖❖

❖أصداء مفردها صدى طائر يخرجُ من رأس الميت هكذا تزعم العرب